العدد (374) السبت (29) نيسان 2005
NO (374)Sat. (30) April

صفحة تصدر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية
iraqipa@hotmail.com

المشهد النفسي

تمنيناها...فصرنا نخشاها

أ.د.قاسم حسين صالح

يصفون العراق بأنه ((بلد العجائب))، وفي هذا يقول الجواهري:((أبا الفرسان لا عجب فإنّا....نؤدي فدية البلد العجيب)).ومن عجائبه الجديدة،التي تجعلك تستلقي على قفاك من الضحك المبكي، أن سرقة السيارات صارت تسمى (أخذ السيارات)، وبالتالي فهي –في عرفهم –مهنة مشروعة لها قواعد وأصول،وفيها (إبداعات) تفوق الخيال،منها أن راكباً قال لسائق التاكسي الذي يقله أنه عطشان،فوقف من أجله عند أول بائع،فاشترى قنينة مرطبات لنفسه وتكرم بالأخرى للسائق، وما أن شرب هذا حتى غط في غيبوبة ليجد نفسه بعدها ملقى على الرصيف ومعه قنينة المرطبات!ومن يدري أن شبكة أخذ السيارات –ولا تقل سرقتها فيزعلون عليك –ستنشئ موقعاً لها على الانترنيت،يدلّك على كيفية استرجاعك سيارتك المسروقة (المأخوذة).

ليست هذه الحكاية المرة هي الموضوع، إنما (عجيبة الإنترنت) التي تمنينا أن نضيفها إلى عجائبنا،ولكن ما أن دخلت بيوتنا حتى صرنا نخشاها،فقد اتهمها بعضهم بأنها أشد فسقاً من الفاسق والفاسقة،وأنها هدامة البيوت ومفككة الأسرة، وإنها خبيثة.. غاوية.. باثّة للشك وعدم الثقة بين الزوج والزوجة.فقبل أشهر –وهذه حادثة حقيقية– عمد أحدهم إلى مغازلة زوجته عبر الإنترنت باسم مستعار،واستدرجها إلى أن أعطاها موعداً للقاء،..فكانت الفضيحة،وكان الطلاق،بعد أن أثبت خيانتها بالجرم المشهود!

ولأننا شعب كان محروماً من كل شيء إلا الهواء،ومأزوم نفسياً وجنسياً،فقد صارت الإنترنت في البيوت وفي نواديها الجامعية والعامة،مصدراً لإشباع ما حرمنا منه.ولأن فينا حاجة للتنفيس عما هو مكبوت،فقد اتخذناها (صديقاً..صديقة) للبوح بالأسرار من خلال الدردشة (Chatting)،حتى وصل الحال ببعض الشباب إلى إدمانها. وإذا كان يتعذر على الشاب مشاهدة فلم (جنسي) في تلفزيون الأسرة،فقد صار سهلاً عليه الوصول إلى المواقع الإباحية عبر الإنترنت،وتوفرت له فرصة إقامة علاقة عاطفية أيضاً،بل علاقات!

وأمست الإنترنت مصدر إزعاج للزوجة التي يقضي زوجها ساعات ليله في تصفحها،فتفسره بأنه حجة للهرب منها،حتى صارت تنظر لها كما لو كانت (ضرتها)!

ومن طريف ما حصل لي أنني تلقيت عبر الإنترنت رسالة من (وزيرة العمل) في دولة أفريقية،خلاصتها أن لديها عشرة ملايين دولار في أحد البنوك السويسرية مسجلة باسم زوجها الذي توفي في حادث،وإنها تطلب الزواج مني بترتيب معين لقاء عمولة مقدارها مليونا دولار.وقد علق زميلي الساخر بقوله:((اشمنتظر أخي..هم أفريقية وهم مليونين دولار..اتوكل على الله وانا شاهدك بورقتين..بسعر إرهابي..وجمع راسين بالحلال أثوب عد رب العالمين من قطع رأس واحد!)).ومثل هذه (الحيل) قد يصدق بها الشباب الذين لا خبرة لهم بنصب (الفخاخ) لاسيما العاطفية.

والمشكلة،إن الحيرة تلف الأسرة العراقية في كيفية التعامل مع أولادها وبناتها في استخدام الإنترنت بما هو مفيد علمياً وثقافياً وأخلاقياً وترفيهياً،وإبعادهم عما هو مفسد وقبيح فيها.والحيرة نفسها تلف النوادي الجامعية والعامة للإنترنت في غياب ضوابط ورقابة وطنية.

والحق أقول،ان لا حل لها سوى (الضمير الأخلاقي) الذي كانت تتعاون الأسرة والمدرسة والمجتمع على تشكيله،فتجعله محصناً،بينما!! يتسابق الآن على تهرئة نسيجه جمع غفير،من سارق السيارة..إلى الإرهابي..إلى متعاطين بالدين والسياسة،في بلد العجائب.

أصل الإرهاب (وجهة نظر نفسية)

د . يوسف حمه صالح مصطفى
جامعة صلاح الدين

يشير (مونتاغو) Montagoأحد المتخصصين في دراسة العنف والعدوان إلى أن البشرية منذ أن قامت بتدوين تأريخها قبل نحو (٥٦٠٠) سنة ،نشبت أكثر من (١٤,٦٠٠) حرب ،أي بمعدل ما يقارب ثلاث حروب في السنة لحين تأريخ الإحصائية هذه في عام ١٩٧٦،راح ضحيتها ملايين البشر،إذ قُتل مثلاً أكثر من (٦٥) مليون شخص في الحرب العالمية الثانية وحدها ،فضلاً عما خلفته تلك الحروب من ماسي وويلات وأحقاد ودمار ماديٍ ونفسي واجتماعي.

كما تشير الإحصاءات إلى ارتفاع نسبة أعمال العنف والقتل والاعتداء والاغتصاب والسلب والانتحار في المجتمعات الصناعية المتقدمة لاسيما في الولايات المتحدة،التي مات فيها منذ مطلع القرن العشرين وحتى منتصف السبعينيات من القرن نفسه،أكثر من (٩٠٠) ألف مدني نتيجة للأعمال الإجرامية.ويستنتج من هذه الحقائق والبيانات،أن العنف والعدوان أصبحا حقيقة دامغة يواجهها المجتمع البشري ويتعايش معها.

العدوان غريزة أم تعلم؟

يفترض بعض علماء النفس أن العدوان هو نتيجة طبيعية لغريزة القتل الكامنة في طبع البشر،ومنهم (فرويد) مؤسس التحليل النفسي الذي يرى أن السلوك العدواني جزء مهم من الكيان الغريزي للفرد،وإن الطاقة الهدامة للعدوان لا تحتاج أحياناً لأن توجه ضد الناس الآخرين مباشرة،وإنما قد تسدد نحو الذات كما في الانتحار، ولذلك فإن الوظيفة الرئيسة للمجتمع هي وضع طبيعة العدوان لدى الأفراد تحت المراقبة والسيطرة قدر الإمكان.

أما علم الايثولوجي Ethology أي دراسة الكائنات الحية في أوضاعها الطبيعية،فيرى أن العدوان وظيفة مساعدة تعمل على حماية وإنقاذ الحياة من مهددات البيئة ومن مخاطرها.فقد بينت ملاحظات الايثولوجي(كونراد لورنز)١٩٦٦ أن العدوان عبارة عن (غريزة قتال) موجودة لدى الحيوان والإنسان معاً،وأنها لا تعد شيئا سيئاً بحد ذاته وإنما تعمل بوصفها وظيفة لحماية النوع والجماعة والفرد من التهديدات الحقيقية الآتية من البيئة.لكن الانسان بخلاف أغلب الحيوانات التي لا تقتل بني نوعها،فشل في تحجيم نزعة العدوان لديه،إذ أن بنيته الجسدية الضعيفة نسبياً،دفعته الى تطوير أنواع متقدمة من السلاح مكّنته من قتل هذا الحجم المرعب والهائل من بني جلدته عبر التاريخ..ولذلك يعد الإنسان من وجهة نظر (لورنز)أكثر الكائنات الحية على البسيطة عدواناً وضرراً ضد بني جنسه،

إلا أن أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي يعتقدون بأن العدوان يفسر تماماً على أساس السلوك الاجتماعي المتعلم والذي يمكن التنبؤ به والسيطرة عليه،بحسب قوانين التعلم،كالتعزيز والتعميم والتمييز والانطفاء.فالعدوان ليس غريزة فطرية محتومة على البشر،بل هو سلوك متعلم ومكتسب عن طريق البيئة الاجتماعية.فعندما يلاحظ الطفل في بيئته شخصيات مهمة في حياته كالوالدين،تمارس العنف باستمرار في مواقف تسبب له الاحباط والأذى الجسدي والنفسي،فسيتشكل لديه السلوك العدواني نفسه عندما يمر بمواقف مشابهة.ويحدث التعلم نفسه عند التعرض لعدوانية الأقران والأصدقاء،أو مشاهدة أفلام العنف والرعب والإجرام،إذ تتم محاكاة هذه النماذج بوصفها مصدراً للتعزيز غير المباشر، وهذا ما يطلق عليه ب(النمذجة) Modelling.

الإرهابي لديه خوف (عصابي) من وجود الآخرين في باحة الحياة

الأمراض الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة تشكل الأرضية الحافزة على الارهاب

الجذر النفسي للإرهاب

يتحول السلوك العدواني إلى (إرهاب) عندما نجهل الحدود الفاصلة ما بين العدوان المقبول (في حالة الرد على العدوان كالدفاع عن الوطن)،والعدوان غير المقبول،أو عندما نفتقر الى قدرة الارتكاز على الحوار والتفاهم والنقاش في حل المشكلات والصراعات،واللجوء إلى القوة لتحقيق ذلك،الأمر الذي يعطي مبرراً وشرعية لاستخدام الأسلوب نفسه لدى الإطراف الأخرى المتنازعة، فاستخدام القوة قد يحقق الانتصار للطرف الأقوى ويؤجل حالة الصراع،إلا أنه لا يسعى إلى حلها نهائياً،فالحروب في الكثير من الأحيان تتوقف ولا تنتهي، فالعدوان الأعمى لدى الفرد هو أصل الإرهاب أو جذره،لكن هذا العدوان له تربته الخصبة أيضاً،والمتمثلة بالأمراض الاجتماعية والاقتصادية المتفاقمة،كالفقر والاستغلال والاحتلال والهيمنة الثقافية،التي من شأنها أن تقدح شرارة العدوان وبالتالي الارهاب، فالإرهابي في عالم اليوم،يتحرك ضمن أرضية واسعة حافزة على الإرهاب وسط هذه التناقضات والصراعات،التي أصبحت امتداداً لقرون مضت، من دون أن يستعين الإنسان بعقله الجبار على معالجتها بعيدا عن منطق القوة والهيمنة، فالإرهاب يبدأ حينما يعجز العقل عن اللجوء إلى أساليب منطقية في التفاهم والتحاور مع الطرف الآخر، فما المضمون النفسي وراء هذا العجز في الاحتكام إلى منطق الحوار والتفاهم ؟

باعتقادي،هناك خوف (عصابي) لدى الإرهابي من وجود الآخرين في باحة الحياة، وينعكس هذا الخوف من خلال نزعته البدائية لإزالة أو تصفية الآخرين من الوجود بدلاً من الاستناد إلى وسيلة إنسانية راقية للتعايش معهم والتأثير السلمي فيهم وإيجاد وترسيخ العناصر المشتركة للعيش معاً بأمان، فالإرهابي إذن متخم بالخوف،يحاول التخلص منه بأساليب بشعة عن طريق إشاعة الخوف والرعب في نفوس الآخرين،أما نظرة الإرهابي لذاته (مفهوم الذات) فهي بلا شك مشوشة ومتدنية،لكنها مؤطرة خارجياً بنزعات الاستعلاء التي تؤدي إلى التطرف الفكري والعقائدي على شكل تنظيرات وفتاوى،والتطرف السياسي على شكل إرهاب منظم يجري استنساله محلياً ثم تصديره.

فسياسة الإرهاب تبرر كل صنوف القتل والإبادة وتعلن الحرب على كل من لا يقف في صفها،تحت شعارات مقدسة كالدين والوطنية والحرية والأمن والرسالة المقدسة، وتعد هذه السياسة بحسب مقاييس علم النفس الأخلاقي صيغا متأخرة وبدائية في التعامل مع الوقائع والآخرين، فنسبية الصواب والخطأ في النظريات والأفكار تدحض مبدأ:((إن أفكاري وعقائدي هي الصالحة وما سواها لا ينفع))،وسط هذا التنوع والتعددية البشرية الهائلة في الأفكار والعقائد والأديان وأساليب العيش والتراث والتأريخ، فما هو صالح أو نافع من منظور فكري أو اجتماعي في مرحلة ما أو لدى مجموعة ما،قد لا يعدو كذلك في مرحلة أخرى أو لدى مجموعة أخرى.

لا يزال الطريق وعرا أمام البشر لكي يسموا بأخلاقياتهم في تعاملهم مع بعضهم بصورة اكثر رقياً وشفافية وتعبيراً عن الإبداع في تجاوز مخلفات الماضي ومعضلات الحاضر،ولكي يركنوا الى نبذ القوة والعنف والعدوان والإرهاب،لحل المشكلات والأزمات وترجمة مبادئ الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان إلى واقع عمل في حياة كل فرد وجماعة ومجتمع ونظام سياسي، فنحن بحاجة إلى تغيير سريع وجريء في السلوكيات عبر توفير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الملائمة لذلك،أعني بيئة تحترم إنسانية كل إنسان بوصفه وحدة بيولوجية— اجتماعية—فكرية لها كرامتها الثابتة التي لا تقبل التجزئة أو المساومة.آنذاك ستتضاءل النزعة نحو استخدام العدوان،فلا يكون للإرهاب معنى في القاموس البشري.

برعاية وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

(الجمعية النفسية العراقية) تشارك في حلقة نقاشية عن مرض (التوحد)

برعاية (مركز العوق العقلي) التابع لدائرة الرعاية الاجتماعية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية،شاركت الجمعية النفسية العراقية بالحلقة النقاشية المعنونة (اضطراب التوحد لدى الأطفال)،يوم الثلاثاء ٢٠٠٥/٤/٥ في معهد الأمل ببغداد،الى جانب مشاركة خمس وزارات وثلاث جامعات وأربع منظمات انسانية محلية ودولية.وقد أسهمت الجمعية بورقة عمل قدمها كل من الدكتور (قاسم حسين صالح) رئيس الجمعية،والدكتور (هيثم أحمد الزبيدي) عضو الجمعية،فيما يأتي نصها:

اضطراب Autism (التوحد) أو توقف في نمو المهارات المتوقعة لدى الطفل في الجوانب الاجتماعية واللغوية والعقلية،وفي رصيد السلوكيات المرغوب بها،أو فقدها بعد أن تكون بدأت في التبلور في المراحل المبكرة من حياة الطفل،مما يؤثر سلباً في نمو المهارات المختلفة(كلامية واجتماعية وسلوكية ومعرفية) وفي بناء شخصيته،وفي قدرته على الاتصال بالآخرين وإقامة علاقات معهم،والاستجابة للبيئة على نحو ملائم.

تصاحب ذلك نزعة انسحابية انطوائية،وانغلاق على الذات،مع جمود عاطفي وانفعالي،يصبح فيه الجهاز العصبي للطفل كما لو أنه قد توقف تماماً عن العمل،فتكف حواسه الخمس عن توصيل أو استقبال أي تنبيهات خارجية أو التعبير عن عواطفه وأحاسيسه فيما عدا اندماجه بأعمال نمطية عشوائية غير هادفة لمدة طويلة.

والتوحد يصيب الأطفال بغض النظر عن مستوى ذكائهم،فقد يكونون متوسطي الذكاء أو أذكياء جداً أو متخلفين عقلياً،لذا ينبغي التنويه بأن التوحد لا يعني بالضرورة التخلف العقلي،إذ أن بين الأطفال المصابين بالتوحد هناك من يتمتع بقدرات أو مهارات نادرة في الرياضيات أو فنون الرسم أو الموسيقى.

وبما أن العلم لم يصل بعد (بالرغم من تأسيس مراكز عالمية وعربية متخصصة بالتوحد)،إلى تحديد دقيق للعوامل المسببة للتوحد،وما إذا كانت وراثية جينية أم بيئية اجتماعية،فإن علاجه الشافي غير موجود،ولهذا يعد التوحد من أشد الإعاقات التي تبدأ مع ميلاد الطفل وتستمر حتى مماته،ولا تشفى منها إلا نسبة ضئيلة لا تتعدى (٧٪) في افضل الأحوال،ممن لديهم ذكاء عادي أو قدرة على التواصل القوي وتوفر الفرصة لدخولهم في برامج التأهيل.

ويتطلب علاج هذا الاضطراب تضافر جهود العاملين في مراكز التوحد،ولا سيما المعلمين والمعلمات الذين ينبغي أن يتصفوا بالصبر والقدرة على تحمل أطفال متعبين في تصرفاتهم،مع جهود أسر هؤلاء الأطفال الذين هم ضحية إعاقة بالغة للنمو العقلي.وإغناء لهذه الحلقة النقاشية،تقترح الجمعية النفسية على دائرة المرعاية الاجتماعية ومؤسساتها،وبالتعاون مع الجمعيات العلمية والإنسانية ذات الصلة،الاشتراك في إرساء قواعد برنامج تأهيل تربوي ونفسي للأطفال المصابين بالتوحد على وفق الفقرات الآتية:

١-تصميم استمارة تشخيص مدرسي.

٢-إجراء مسح عام للمصابين بالتوحد في مدارس العراق كافة.

٣-تعديل السلوك على وفق استراتيجيات تعليم قائمة على ما يأتي:

أ - علاج اضطراب النطق واللغة.

ب- العمل على التفريغ الانفعالي للطفل.

ج- العلاج بالموسيقى والاسترخاء.

د- توظيف مبادئ الاشتراط والتعزيز في تطوير سلوك المستوحدين.

هـ - تصميم برنامج للتغذية والعقاقير.

و-التدريب على التواصل البصري والسمعي.

دور (الدروس الخصوصية) في تدهور العملية التعليمية

د. ريزان علي إبراهيم
جامعة صلاح الدين

إن من أهم عوامل الارتقاء بالعملية التعليمية،هو تعويد الطفل على الاعتماد على نفسه في حياته الدراسية،وعدم طلبه مساعدة الغير إلا عند الضرورة القصوى،وحين يستلزم الأمر بالفعل مقداراً من المساعدة المحدودة.ولكن أن تتم تنشئة الطفل على عادة الاستماع فقط إلى الدروس العامة في المدرسة ثم الدروس الخاصة في المنزل –وهو في كل هذه المواقف مستقبل سلبي غير فعال –فإن ذلك غالباً ما ينتهي به إلى التواكل والاعتماد وعدم القدرة على أخذ دور فعال في حفظ الدرس واستيعابها،ثم إلى فشل في الامتحان فيما بعد.

إن تعويد الطفل منذ صغره الاعتماد على الدروس الخاصة، يؤدي إلى نتائج قد تكون عكسية،إذ يمكن أن ينتهي به الأمر إلى فشل متكرر وتأخر دراسي مستمر، فالطفل وقد فقد عادة الاعتماد على النفس في البحث والفهم ومحاولة استيضاح النقاط الغامضة ثم استيعاب المادة بعد فهمها،مثل هذا الطفل الذي تصبح كل وظيفته الاستماع إلى شرح الغير من دون أخذ دور إيجابي ومن دون بذل أي جهد من جانبه،إنما يكون فشله أقرب إلى الاحتمال من طفل آخر يأخذ دوراً فعالاً في البحث والتنقيب وفهم غوامض المادة وصولاً إلى استيعابها وحفظها.

ومن ناحية أخرى،فإن الطفل الذي تعود على الاعتماد على الدروس الخاصة في منزله لابد من أن يفقد الانتباه في المدرسة في أثناء اليوم الدراسي،لأنه غالباً ما لا يرى مبرراً لتركيز انتباهه وإرهاق نفسه مادام! أن في الدروس الخاصة التي تعطى له في المنزل مجالاً أكبر للاستماع والفهم.وهكذا يهمل هذا التلميذ الفائدة العلمية الكبيرة التي تقدمها له في المدرسة اعتماداً على ما يقدم له من رعاية خاصة في المنزل،ويصبح وجوده في المدرسة صورة شكلية فقط تخفي وراءها مضيعة للوقت والجهد والمال وتعطي له فرصة للعبث والاستهتار واختلاق المشكلات مع أقرانه ومعلميه.

وقد يفشل التلميذ في دروسه،فيعمد الأب في العام التالي إلى تغيير المدرسين الذين كان يلتمس معونتهم.وقد يعهد به إلى مدرسين من مدارس أخرى غير المدرسة الملتحق بها الابن،أو قد يعهد به إلى مدرسين خاصين محترفين للدروس الخاصة فقط.وهنا قد تنبع مشكلة أخرى أكثر سوءاً،إذ يسير التدريس في المنزل بأسلوب معين بينما تسير المدرسة بأسلوب آخر مغاير تماماً،فيختلط الأمر على التلميذ في النهاية،وقد يذهب ضحية لهذا التضارب في الأساليب.

وإذا كنا بصدد خطورة المبالغة في تنمية روح الاعتماد لدى الطفل على الدروس الخاصة،فأن هذا يدفعنا إلى الحديث عن نوع آخر من المساعدات يضر بالطفل أيضاً.ونعني بذلك ما قد يعمد إليه بعض الآباء أو الأمهات من أدائهم للواجبات الدراسية نيابة عن أبنائهم،فيقوم الوالد مثلاً بحل المسائل الحسابية أو كتابة موضوع الإنشاء وغير ذلك من الواجبات التي ينبغي أن ندع الطفل يبذل جهده فيها محاولاً أداءها حتى ولو كان هذا الأداء خاطئاً،لأن في ذلك تدريباً ودفعاً له كي يفهم أصولها وقواعدها،ويكون مستعداً لأداء الامتحانات في نهاية العام.فالمدرسة بإعطائها هذه الواجبات لتلاميذها لا تستهدف الحل الصحيح بقدر ما تستهدف دفع الطفل للبحث وتطبيق النظريات والقواعد التي شرحت له في المدرسة.

ولسنا ننكر حق الوالدين في مساعدتهما طفلهما في استذكاره لدروسه وأدائه لواجباته المنزلية، فأن مثل هذه المساعدات ذات قيمة بل قد تكون ضرورية في بعض الأحيان،لكننا نقصد الإشارة إلى ذلك النوع من المساعدات الذي لا يترك الوالد فيه فرصة للطفل في الحصول على قسط من التدريب والتمرين والفهم والحفظ،بل يحلُ له كل المعضلات التي تواجهه وكل المسائل والموضوعات التي ينبغي للطفل عملها بنفسه،إذ ينبغي أن تكون هذه المساعدة محدودة يكتفي الوالد فيها بإعطاء الطفل بعض الإرشادات البسيطة التي تهيئه لأداء الواجب المكلف به.

يتلخص الموقف إذن في أن تكون المساعدات التي تمنح للطفل – سواء كانت عن طريق والديه أم عن طريق الدروس الخصوصية– مساعدات مؤقتة تستهدف حل إشكال قائم،وأن يكون الأساس فيها دفع الطفل للعمل بمفرده،وتنمية المقدرة لديه على البحث و التنقيب، وتعويده الاعتماد على النفس،وان لا يلتمس المساعدة إلا في الظروف التي تستوجب ذلك بالفعل.